مكتبة البنين
قسم الدوريات

حولية كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

غير مصرح باستعارتها من المكتبة

العـــدد العـــاشـــر

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ميلادية

الجامعة الإسلامية والقومية المصرية في فكر أحمد لطفي السيد

الدكتور أحمد زكريا الشلق
مدرس بقسم التاريخ

- ١ -

تنطوي هذه السياحة الفكرية في فكر أحمد لطفي السيد على مسألتين هامتين ينبغي الاشارة اليهما ابتداء ، أولاهما : أن مفهوم القومية والفكر القومي من المفاهيم غير المحددة تماماً في مصطلحات الفكر عامة وفي علم الاجتماع السياسي خاصة ، والثانية : أن الشخصية موضوع الدراسة لم تترك لنا « مؤلفا » واحداً تبلور فيه نظرتها الفلسفية وتحدد إطارها الفكري ، فقد ترك لطفي السيد آلاف المقالات ، وعشرات الخطب والتعليقات كتبت ونشرت في مناسبات معينة ، جمع أنصاره وتلاميذه بعضا منها ونشروها في « مصنفات »[1] وإن كان هذا لا يعني بالطبع أنه لم يؤمن بفلسفة معينة ويعتقد في نظرية محددة ، ذلك أن ايمانه هذا ، الذي دعمته ثقافته الواسعة واطلاعه المتعمق على آثار الغرب بلغاته ، قد برز بشكل أو آخر من خلال مقالاته

وخطبه ، فبدا أمينا مع ما يعتقده ويؤمن به وتحمل تبعة ذلك سواء فيما يتصل بالتجريد والتنظير ، أو ما تورط فيه من حركات السياسة وأفانينها . نحن اذن أمام رجل ليس بفيلسوف ، كما يحلو لاتباعه أن ينعتوه ، ذلك انه لم يبتدع ولم يسهم في ايجاد نظرية في علوم الاجتماع أو السياسة ، وانما أمام رجل يؤمن بفلسفة معينة ، تملك عليه عناصر تفكيره وطرائق تعبيره ، يبشر بها بين الحين والاخر من خلال اشتغاله بشئون الثقافة والفكر ، في مجالها السياسي والاجتماعي .

ولعلنا لا نخطىء إذا توقفنا في تلك السياحة الفكرية مع لطفي السيد عند عام ١٩١٤ ، أي عندما توقف عن احتراف الكتابة ، وتعطلت ـ بعد ذلك بشهور ـ صحيفته « الجريدة » فالمعروف تاريخياً أنه لم يكتب مقالات تذكر ، بعد أن ترك رئاسة تحرير وادارة الصحيفة ، باستثناء ما كان يدلي به من أحاديث من خلال المناصب العامة التي تولاها ، فقد استغرقته هذه المناصب التي تقلب فيها ابتداء من ادارة دار الكتب المصرية ، إلى رئاسة الجامعة ، إلى تولي الوزارة أكثر من مرة ، لقد شغلته هذه المناصب جميعها عن أن يتابع معاركه الفكرية والتي أعتقد أنه بالقائه القلم عام ١٩١٤ قد اتمها بعد ان قال كل ما يريد ، كما أن تلاميذه قد انتشروا في شتى فروع الحياة العامة يرددون افكاره ومبادئه ، ويؤيد هذا أنه انصرف حتى في مجال القراءة والكتابة ، إلى مجال الترجمة .[٢] .

ويتصل بما سبق أن نتخذ من عام ١٩٠٧ نقطة بداية لهذه الدراسة ، فلطفي السيد لم يكن قد برز الى ميدان الكتابة والخطابة بشكل مستقل قبل هذا العام ، فلم تتميز كتاباته المتناثرة في الصحف العامة ، قبلئذ ، عن أقرانه بشيء يستحق الدراسة بما يساعدنا على فهم فكره القومي حتي ذلك الحين ، كما لم يكن يمتلك أداة للتعبير مضمونة قبل صدور « الجريدة » في مارس ١٩٠٧ . بالاضافة الى هذا وذلك فإن نقطة البداية في بلورة فكره القومي المصري انطلقت من أرضية علاقة مصر مع الدولة العثمانية صاحبة السيادة على مصر ، او صلتها بالخلافة الاسلامية المعروفة بالتعبير الشائع حينئذ بـ « الجامعة الاسلامية » وبالرغم من أن هذه العلاقة حتى مطلع القرن

العشرين لم تكن قد أصبحت ملحة لدى المثقفين المصريين ، إلا انها قد بلغت وضعا متأزما في أواخر عام ١٩٠٦ ، جعل لطفي السيد وأنصاره يفكرون في إصدار صحيفة تعبر عن أفكارهم ، وتتبنى مواقفهم إزاء الدولة صاحبة السيادة على مصر ، الأمر الذي قاده في النهاية الى الحديث بشكل مفصل ومسهب عن الأمة المصرية والقومية المصرية أو « الجامعة المصرية » كما كان يحلو له أن يسميها .

- ٢ -

القومية ببساطة شديدة ودون الدخول في تفسيرات فقهية هي الرابطة التي تربط الفرد بأمته ، وتجعله ينفعل بانفعالاتها ويرتبط بحاضرها ومستقبلها ويتشرب لغتها وثقافتها ويطمح لتحقيق الكيان القومي ، وهي ترجمة لكلمة Nationalism المستمدة من كلمة الأمة Nation وهذا يوضح لنا صلة مفهوم القومية بمفهوم الامة ، التي تتكون تاريخياً من خلال عملية تاريخية طويلة تتكون خلالها المقومات الاساسية الخاصة بهذه الامة حتى تتكامل عند مرحلة تاريخية معينة . وهذه المقومات هي : التاريخ المشترك ، واللغة ، ووحدة الارض ، والحياة الاقتصادية المشتركة ، ثم التكوين النفسي المشترك .[٣] .

ورغم هذا التبسيط فإن عدم الوضوح يشمل مفهوم « الامة » وتعبير « القومي » وتركيب الفاظ مثل الشعور أو الوعي القومي والطابع القومي وتقرير المصير القومي وهكذا . . فعندما نسأل ما هي الامة يجيب معظم الناس بأن الامة هي « الشعب » ولفظ « قومي » يعني شيئا مشتركا بين الشعب كله ونادراً ما يدرك الناس ان لفظ « قومي » لا يعني نفس الشيء في كل مكان كما يقول « هرتز » كما أن لفظ « أمة » ايضا يستخدم بمعان مختلفة ولا يعني دائماً نفس الشيء كلفظ « الشعب » وهذا الاختلاف تكمن جذوره في تضارب الايدلوجيات أو المصالح ، وأيا كان الأمر فان عدم وضوح المصطلحات وثباتها يسهم كثيرا في اختلاط الأفكار ، وعندما تساءل كارلتون هيز عن السبب في منح القومية تلك القوة الكبرى في العصر الحديث ؟

أجاب : نحن في الحقيقة لا نعلم ! وهذا الاعتراف من جانب واحد من أكبر الخبراء في هذا الميدان يبين مدى تعقيد المشكلة .[٤] .

والحقيقة أن « الوعي القومي » الذي يتضمن تطلعات رئيسية تظهر في صور ومزائج عديدة ويرتبط بعوامل موضوعية مثل الاقليم القومي واللغة القومية والتاريخ القومي . . الخ يمكن تعريفه بأنه العمل على تحقيق الشخصية القومية ، وقد اتخذ عبر التاريخ عدة صور مختلفة ، من شعور غامض بالقرابة الى السعي المتميز لتحقيق الشخصية القومية الى مثل أعلى للمجتمع . وهو ينطوي على هيكل من الأفكار تتصل بحدود الأمة وتكوينها وطابعها ورسالتها وبعلاقاتها بالأمم الأخرى ، وهذه الأفكار تؤلف الايدلوجية القومية . ومن اهم عناصر التطلعات القومية عند هرتز السعي للوحدة القومية التي تتضمن الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية والمشاركة والتضامن ثم السعي للاستقلال القومي ، الذي يتضمن الاستقلال عن السيطرة والتدخل الاجنبي والحرية الداخلية .[٥] .

والشخصية القومية ـ كما يقول مصطفى سويف ـ تستبين من دراسة أكثر سمات الشخصية شيوعا في اي مجتمع وصولا الى تقديم صورة مؤلفة من هذه السمات .[٦] وعلى ذلك فالفكر القومي لا يعني مجرد مفهوم نظري وانما يرتبط بواقع اجتماعي معين فمبدأ القومية اذن يرتبط بمفهوم ذي وظيفة سياسية ، نشأ خلال القرن السادس عشر كأساس فلسفي لتفسير حركة الصراع ضد النظام الاقطاعي ، وضد السيادة الكنيسية . . الخ فالمجتمع السياسي ذو الأصول والتقاليد المشتركة من حقه ان يملك ارادة قومية واحدة تتبلور في شكل نظام سياسى واحد ، وألا يخضع في مظاهر الاستقلالية وممارسة تلك الارادة لأي نوع من انواع التبعية .[٧] .

وعلى ذلك فليست « القومية » بنتا للقرن العشرين ، وان كان هذا القرن هو الذي شهد نموها وانتشارها بين كل شعوب الارض تقريبا . لقد نشأ المثل الأعلى للفكرة القومية عن حركتين : الأولى هي الثورة الفرنسية والحروب النابليونية اذ بفضلهما ظهرت فكرة القومية في فرنسا ثم انتقلت الى بلدان اوربا ، والثانية هي الحركات

القومية المناهضة للاستعمار طلبا للاستقلال وتقرير المصير القومي ، وهي حركات انتشرت في القرن العشرين وبالذات في آسيا وأفريقيا . ومن ثم تبلورت تلك الحالة العقلية والاحساس المشترك بالولاء الى كيان جماعي اعلى من الولاء المحلي أو الاقليمي ، وهي الحالة المسماة « بالقومية » كما تتفق عليه دوائر المعارف .[٨] .

بقى ان نوضح علاقة القومية « بالوطنية » ، وهذه العلاقة يوضحها ساطع الحصري ـ ابو خلدون ـ حين يذكر ان الوطنية هي حب الوطن والشعور بالارتباط العاطفي معه ، فالأمة ـ في حقيقة الامر ـ انما هي جماعة من البشر . . والوطنية هي ارتباط هؤلاء البشر بقطعة من الأرض تعرف « بالوطن » ، على اعتبار أن القومية هي ارتباط الفرد بجماعة من البشر تعرف « بالأمة » ويرى كذلك أن ليس ثمة اختلاف كبير بين مفهومي الوطنية والقومية ، لأن حب الوطن يتضمن أيضا حب المواطنين الذين ينتمون اليه ، كما أن حب الأمة ، يتضمن حب الارض التي تعيش عليها تلك الأمة .[٩] .

ويتفق عبد الرحمن البزاز مع الحصري في هذا المعنى مضيفا أن الوطنية قد تعني أحيانا الاهتمام بشئون ذلك الوطن والتعلق به بالعواطف والاحساس باعتباره أرض الأجداد والآباء ، وذلك ما يعبر عنه بكلمة Patrotism والشعور القومي ينمي الوطنية ، ولكن القومية أوسع من الوطنية كثيراً وفيها من الشمول والتجريد « العقائدي » ما ليس في الوطنية .[١٠] .

وليس هناك شك في ان ثمة علاقة عضوية تجمع بين القومية والوطنية ، وان كانت طبيعة هذه العلاقة رهناً باختلاف ظروف كل بلد ودرجة تطوره ، فعلى حين نجدهما مترادفتين في العدد الأكبر من الشعوب الأوربية ، بعد ان حققت وحدتها القومية منذ فترة طويلة ، نجد أن الوطنية والقومية لا تترادفان في منطقة كالعالم العربي مثلا حيث تستخدم « الوطنية » للدلالة على الحركات القطرية في كل بلد عربي على حدة في حين تستخدم « القومية » للدلالة على حركة الوحدة العربية بين الأقطار العربية .[١١] .

- ٣ -

ظل الاطار العام للفكر الاسلامي ، الذي ورثته مصر عن الفتح العربي متماسكا بوجه عام حتى تعرضت مصر للغزو الأوربي ، فانكسر للمرة الأولى جدار العزلة التي فرضت على البلاد منذ الكشوف الجغرافية والفتح العثماني ، بالرغم من ان فترة الحكم الفرنسى القصير (١٧٩٨ - ١٨٠١) لم تترك آثارا ذات بال في المجالين الاجتماعي والثقافي ، إلا أن عيون النابهين من المصريين قد تفتحت على آفاق تدفعها الأفكار الجديدة وتسيطر عليها قوى العلم والتنظيم ، وحتى هذه الفترة ظل مفهوم « الأمة » أو « الشعب » يستخدم بتعميم اكثر ، مقترنا باصطلاحات أخرى مثل الأهل ، والقوم ، والناس ونحو ذلك .[١٢] . وهذا المفهوم شأنه شأن كافة مفاهيم ومصطلحات الفكر السياسي ، كان يستمد أصوله من الينابيع الثقافية الاسلامية والتي لم تكن قد مستها عوامل التغيير في صميمها . ولسنا نبالغ مع بعض الكتاب في ابراز دور الحملة الفرنسية على مصر فيما يتعلق بظهور كيان الدولة القومية في مصر ، ممن يستشهدون في ذلك بمحاولتها اقامة حكومة مركزية ومخاطبة بونابرت المصريين باعتبارهم أمة متميزة ، ذلك أن زعماء البلاد الذين تولوا قيادة حركة مقاومة الاحتلال الفرنسى ، لم يكونوا مدفوعين بفكرة الامة القومية بمعناها الصريح وذلك لسيطرة فكرة الجماعة الاسلامية وسيادتها آنذاك ولوجود عوامل اجتماعية واقتصادية أخرى كانت تحرك هذه المقاومة .

وربما كانت الحملة الفرنسية قد نبهت الى امكانية قيام دولة جديدة على اساس قومي ، ولم يثبت هذا المعنى حتى جاءت انجازات محمد علي لتقيم هيكل هذه الدولة ، هذا بالاضافة الى ما احدثه الاتصال باوربا وفكر الثورة الفرنسية فيما بعد ، مما بدا اثره في كتابات المثقفين المصريين المستنيرين ، بدءا بالطهطاوي وحتى احمد لطفي السيد ، وقد كان الطهطاوي اول مصري اكتمل لديه الوعي بوجود امة مصرية متميزة عن الجسم العام للمجتمع الاسلامي[١٣] . وقد تجلى ذلك في إيمانه بتوجيه مصر توجيها غربيا أوربيا في كتابه « تخليص الأبريز » ودعوته الى إحياء التاريخ

المصري القديم وعرضه اياه من زاوية مصرية قومية دون أن يخشى الفكرة السائدة التي كانت تعتبر تاريخ ما قبل الاسلام غير مرغوب فيه ، وذلك أمر لا نجده عند الجبرتي على قرب العهد بينهما ، كما انتشرت عبارات الوطن ، وحب الوطن ، في كتابه « مناهج الألباب » وكان يستعمل عبارة « حب الوطن » بمعنى جديد يلح في ضوئه ، لا على واجب المواطن السلبي في الخضوع للسلطة ، بل على دوره الايجابي في بناء مجتمع متمدن ، ولا على الواجبات المتبادلة بين ابناء الامة الاسلامية وحدهم ، بل ايضا على الواجبات المتبادلة بين الذين يعيشون في البلد الواحد ، وهكذا يتخذ لديه حب الوطن معنى خاصا هو الوطنية الاقليمية بمعناها الحديث . . إنه يرمي عندما يتحدث عن حب الوطن الى الشعور المشترك بين القاطنين ارض مصر . فمصر في نظره شيء مميز ومستمر تاريخيا[١٤] .

وابتداء من الطهطاوي ساهم العديد من المستنيرين المصريين وغيرهم من الوافدين في تنمية تلك المشاعر التي ما لبثت ان تراكمت حول مفهوم الامة بالمعنى الحديث ، وبلورة فكرة القومية ، وبدا أثرها واضحا في كتاباتهم . وحتى الثلث الاخير للقرن التاسع عشر شهدت مصر عاملا جديدا في تطورها الحديث ، تمثل في ظهور رأي عام يقظ نتيجة عوامل تاريخية مختلفة فقد تم تمصير الجيش المصري وتولدت نعرته المصرية في حروب الشام ، وعرفت مصر محمد علي نوعا جديدا من التعليم المدني ، ذي طابع علماني ، وترجمت الكتب الاوربية ، وتواكب هذا مع نشأة علم المصريات بعد فك طلاسم اللغة الهيروغليفية ، وقد ادى هذا كله الى شعور المصريين بالانتساب الى وطن له كيانه الخاص وتاريخه الخاص ، وان ظلوا يعتبرون بلادهم جزءا من العالم الاسلامي ، وأدت هذه المؤثرات بالاضافة الى نشاط الصناعة وازدهار الثقافة واستقرار الأمن والنظام الى نمو الشعور بالوطنية ، وقد زاد من ذلك استمرار الضغط الأجنبي على مصر في أواخر عصر الخديوي اسماعيل ، كما أن قاعدة التعليم قد اتسعت في الوقت الذي ازداد فيه اتصال مصر بأوربا ، ونمو الصحافة الشعبية وتأثير وجود الأفغاني بمصر على ذلك[١٥] . وما شهده عصر اسماعيل من قنوات ثقافية

جديدة ، وكذلك مواقفه التي ساعدات على ابراز مصر كدولة قومية ، كتوسيع ممتلكات مصر في افريقيا ، وإلحاحه على السلطان العثماني لتوسيع استقلال مصر ، واستئناف البعوث العلمية الى اوربا . . . الخ .

كان من جراء ذلك كله أن ظهرت صحيفة باسم « الوطن » (١٨٧٧) . ووضع الشيخ المرصفي كتابا بعنوان « رسالة الكلم الثمان » طرح فيه مفهومه عن الوطن والوطنية[١٦] . وتكرر استعمال لفظة « امة » وارتفعت صيحات « مصر للمصريين » ، وظهر حزبا « مصر الفتاة » و « الحزب الوطني » (القديم) عام ١٨٧٩ ونشرت « الوقائع المصرية » ـ وهي الجريدة الرسمية ـ مقالات تحمل عناوين القومية (في مارس عام ١٨٨١ مثلا) وعلى مبارك يستخدم لفظ « مواطن » للتمييز بين أهل البلاد وغيرهم . وقد عبرت مقالات عبد الله النديم عن التربية الوطنية وكان يشدد على أهمية الوحدة الوطنية بين ابناء الوطن الواحد ، وتخللت كتاباته نزعة إلى كره الأجنبي كثيراً ما ترافق المشاعر القومية الحادة . بالاضافة الى هؤلاء برز أديب اسحق ـ المسيحي السوري ـ الذي رأس تحرير صحيفة (مصر) ، الذي كانت فكرة المجتمع السياسي ، القائم على تضامن غير التضامن الديني ، تحتل مكاناً رئيسياً في تفكيره ، ويشاركه في هذا يعقوب صنوع ـ اليهودي المصري ـ الذي اشتهر فيما بعد باسم صحيفته (أبو نظارة) .[١٧] .

لقد تحددت عناصر القومية المصرية من ينبوعين أولهما : العلمانية اللبرالية التي تميزت بها أوربا القرن التاسع عشر ، وثانيهما : حركة الاصلاح الاسلامية التي صاغ مفاهيمها محمد عبده ورشيد رضا ، ولم تكن أفكار محمد عبده المنبع الأساسي الذي استقى منه القوميون المصريون افكارهم ولكنهم بدون شك استمدوا منها اطمئنانا وتأييدا ، حيث لم يعد الدين لديهم هو أساس وجود « الامة »[١٧] . لقد كانت هذه الأفكار بالنسبة لهم نقطة بداية باعتبارها اصلاحية ومستنيرة ، ثم أنه كان واحدا من الذين عبروا عن القومية المصرية ، بالرغم من سيادة الشعور الديني في عصره حين تحدث عام ١٨٧٦ عن شعب مصري له مشخصات قومية متميزة[١٩] وحين أبدى

اهتماما بالكشوف الأثرية .

لم يكن محمد عبده يرى أن ثمة تعارضاً بين القومية المصرية والقومية الاسلامية في إطار الدولة العثمانية التي ارتبطت في ذهنه بالخلافة كنظام اسلامي . . . ولكن هذا التعارض برز عقب الاحتلال البريطاني ، فمصر ، حين بلغت فكرة القومية المصرية درجة أكبر من النضج ، وتواكب ذلك مع الأزمات السياسية التي حدثت بعد الاحتلال ونمو الحركة الوطنية ـ في مرحلتها الثانية ـ وما أذكته سلطات الاحتلال في نفوس فريق من المصريين لا بقصد تقوية فكرة القومية المصرية لذاتها ، ولكن لمواجهة الدولة العثمانية والانفصال عنها[٢٠] . وعلى المستوى النظري أصبحت فكرة القومية المصرية مألوفة ومقبولة لدى فريق كبير من المصريين ، من تلاميذ محمد عبده ، في الوقت الذي بدأت تظهر فيه فكرة الجامعة الاسلامية كمجرد فكرة غير عملية أو واقعية ، كان التركيز الرئيسي عندهم على شئون مصر المحلية وكانوا أكثر ميلا الى الوطنية بالمفهوم العلماني ، باعتبارهم مصريين يحسون بالولاء لمجتمع لم يكن من الممكن لهم ان يعتبروه مجرد جزء فقط من الأمة الاسلامية[٢١] .

وفي المقابل كان يوجد تيار من المحافظين الذين يمثلون غالبية المستنيرين المصريين ، ممن يربطون الحركة الوطنية المصرية بحركة الجامعة الاسلامية وبسلطان الدولة العثمانية ، ارتبط نمو هذا الاتجاه في تلك الفترة بردود الفعل المباشرة التي اثارها الاحتلال البريطاني وزحف المؤثرات الغربية ، إلا أن هذا الاتجاه ما لبث أن افسح المجال للحركة الوطنية المصرية ، ومن ثم كرس مصطفى كامل وأنصاره من رجال الحزب الوطني ، جهودهم لاثارة العاطفة الوطنية ، فرأوا في الاسلام الجذوة التي تدعم الوطنية المصرية ، واتخذوا من تمسكهم بالسيادة العثمانية حجة قانونية لمدافعة الاحتلال البريطاني . وحتى بداية القرن العشرين ، لم يعد مهما أن تصبح الامبراطورية العثمانية الاسلامية مجرد « دولة تركية » ما دام الاتراك والغالبية العظمى من العرب كانوا أعضاء في مجتمع اسلامي عظيم يربط بينهم دين واحد وولاء لحاكم مسلم هو الخليفة وظل الله على الأرض ! [٢٢] .

بينما كان تطور مفهوم القومية المصرية ، حتى بداية القرن العشرين قد اعطى اصحاب الاتجاه الآخر ، جماعة محمد عبده وتلاميذه ، حجة قوية للوقوف في وجه دولة الخلافة ، وقد تهيأت ظروف العمل لهم بعد وفاة محمد عبده ، وتشجيع اللورد كرومر لهم في ظروف تاريخية مهدت لذلك فأصدروا صحيفتهم « الجريدة » عقب حادثة طابة المشهورة واعلنوا قيام « حزب الامة » ، ونزلوا إلى معترك الحياة السياسية لطرح افكارهم عن القومية المصرية وعلاقة مصر بالدولة العثمانية وغيرها ، وكان ديدنهم ابراز ولائهم للقومية المصرية وحدها دون اعتبار للولاء الاسلامي الكبير ، واتخاذ ذلك قاعدة للعمل السياسي وكان على رأسهم احمد لطفي السيد .

ومن المهم ان نشير الى أن هذا التيار القومي يستند ، فيما يستند اليه ، إلى واقع اجتماعي ، يتمثل في طبقة الأعيان المصرية ، من عمد ومشايخ القرى وملاك الأراضي الزراعية ، الطموحين للعمل السياسي ، والتي يعتبر لطفي السيد المعبر عن طموحها وآمالها ، فهذه الطبقة أرادت أن تكون الوريث الاجتماعي للطبقة التركية والشركسية المضمحلة ، والتي ظلت تحكم المصريين زمنا ، وتعتلي قمة هرمهم الاجتماعي ، ومن ثم فإن فكرة « إبعاد » مصر عن الدولة العثمانية ، وحصرها داخل حدود قومية خاصة بها ، يمثل حركة ـ ربما لا شعورية ـ في اتجاه تحقيق اطماع الطبقة المصرية الجديدة ، وان كان المستنيرون من ابنائها ، قد وعوها وعبروا عنها .

كذلك فإن بلورة فكر قومي خاص « بالأمة » المصرية إنما يمثل ضرورة اجتماعية بالنسبة لحزب « الامة » الذي يعتبر رجاله ـ بمنطق الصفوة ـ انفسهم رؤساءها وكبراءها وأصحاب المصالح الحقيقية فيها ، والذين ينبغي عليهم تولي زمام حكمها .

ـ ٤ ـ

تلقّى لطفي السيد تعليمه النظامي في مدرسة الحقوق ، وأتمّه عام ١٨٩٤ ، ثم مارس المحاماة لفترة قصيرة من عام ١٩٠٦ ، وقد أفادته دراسة الحقوق فائدة جمّة ،

جعلته يتميز بعقلية دقيقة متأنية ، كما اثر في تكوينه العقلي والثقافي أيضا تتلمذه على جمال الدين الأفغاني ، واختلافه إلى حلقات الامام محمد عبده ، بل كان من اصفيائه ، وقد ذكر لنا لطفي السيد كذلك انه قرأ في مطلع شبابه كتابات المستشرق ماكس فان برشم ، وكتابات الأثري البروفيسور نافيل ، كما تلقى دروساً بجامعة جنيف صيف عام ١٨٩٧[٢٣] ، ويبدو أنها لم تكن دروسا نظامية ذلك أنه لم يحدثنا عن شهادة علمية احتازها آنذاك .

كما كان لدراسته لفلسفة داروين عن النشوء وأصل الأنواع ، كما ترجمها شبلي شميل عام ١٨٨٩ ، أثر كبير في تكوينه الثقافي والعقلي[٢٤] . يضاف الى ذلك كله أنه دأب على الكتابة في الصحف منذ اكتمال وعيه السياسي ، فكان يكتب في صحيفة المؤيد وغيرها ، إلى أن أنشأ صحيفة « الجريدة » ، حين كان عالمه الفكري قد اتسع وتعمَّق ، بعد أن تزود على نطاق واسع بقراءة التراث الأوربي ، ولسنا بحاجة لأن نوضِّح أثر ذلك في اعمدة وانهار صحيفته ، التي غصت بترجمات لخلاصات الفكر الأوربي ، بأقلام تلاميذه ، وتحت اشرافه وتوجهيه ، كما لا يخفى أثر ثقافته الأوربية الواسعة في خطبه ومقالاته ، وإن كان تأثره بمذهب المنفعة على المدرسة الانجليزية ، مدرسة جيرمي بنتام وجيمس وجون ستيوارت مل ، سوف يتضح اكثر من خلال تحليلنا لموقع فكرة القومية من تفكيره العام ، الأمر الذي يعطي انطباعا واضحا بأن فلسفته لا تمتد بجذورها لأصل عربي واسلامي ، بقدر ما تمتد لأصول غربية مدنية زمنية[٢٥] .

ذلك هو المناخ الفكري والسياسي الذي برز فيه اتجاه ذلك الفريق من تلاميذ محمد عبده ، ممن تقدم بهم الصفوف لطفي السيد ، الذي ألمنا المامة سريعة بتكوينه الثقافي ، فبات علينا ان نتابع معه مفهومه عن القومية المصرية ، ولعله ظهر واضحا ان أفكاره ، التي عمقتها ثقافته وسعة اطلاعه ، قد حركتها وأنضجتها الأحداث التي شهدتها مصر ، فلم يعد امامه الا ان يختبرها في مختبر السياسة والفكر ، في مجال هو أحب المجالات الى نفسه .

وكـانت أهم المسائـل التي تتصل بقنـاعاتـه هي مسألـة العلاقـة بـين الجـامعـة الاسلامية ، وتيار القومية المصرية ، أو الجامعة المصرية ، ذلك الذي كان وليـدا فاشتد عوده ، وقد قدر لهذه العلاقة أن تبلغ مرحلة الصدام ابتداء من عام ١٩٠٦ ، اي منذ وقعت ازمة طابة ، وكان صدور صحيفة « الجريدة » التي ترأس تحريرهـا لـطفي السيد ، وكـان الموحي والمستكتب لمعـظم مقالاتهـا ، عقب هذه الحـادثة مباشرة ، بمثـابة مـوقف عملي من جـانب القوميـين المصريـين في مواجهـة الدولـة العثمانية ، صاحبة السيادة القانونية على مصر ، والتي ظهرت في ثوب الطامع ـ اثناء الازمة ـ في ممتلكات مصر وتخومها ، تقتطع منها بحجة ممارسـة حقوق السيـادة ، فانبرت « الجريدة » تواجه الشعور العام المتعاطف مع دولة الخلافة ، والمنساق ورائها انسياقا عاطفيا دينيا ، وشرع لطفي السيد في رفع شعار المصلحة المصرية وحدها .

وأنشأت الجريدة منذ أعدادها الأولى مقالات مطولة تعالج موضوع « الوطنية في مصر »[٢٦] . تناولت خلالها تفسير عناصر القومية المصرية ، أو بمعنى أدق التركيز على الاتجاه القومي المحدد بالمعنى المغاير لعلاقة مصر بالدولة العثمانية في إطار الجامعة الاسلامية أو « البانسلامزم » الذي منحته المقالات تعـريفاً جـديداً ، يختلف عن التعريف الشائع « الذي أكسبته اوربا مفهوما صليبيا » فأصبـح اصطلاح الجـامعة الاسلامية عند لطفي السيد وأنصاره ، يعني شعور المسلمين بـالافتقار الى الحـرية والاستقلال ، وأنها مجرد واجب ديني ، وليس تعصبا دينيا ، بل إن سر نهضة المصريين الحديثة تكمن في انها تلبية لداعي البانسلامزم ، او هي بانسلامزم محلي . . »[٢٧] وبذلك انحصر نطاق هذه الجامعة في المفهوم الديني ، وبمعنى لا يتصل بالعصبية أو التعصب « فالمسلمون لم يتفقوا اتفاقا سياسيا بعد عهد عمر ، ولم يتفقوا اتفاقا دينيا بعد عهد علي . . »[٢٨] ولم يكن هذا المعنى موجها الى الدول الاوربية ، التي كانت تلغط آنئذ بالجامعة الاسلامية وتعصب المسلمين ، بقدر ما كان موجها للدولة العثمانيـة ذاتها ، ولمن يؤيدونها في مصر .

وقد وجد لطفي السيد مناسبة أخرى لطرح فكرته عن الجامعة الاسلامية ، حين

انبرى للرد على تقرير كرومر الأخير لعام ١٩٠٧ ، فذكر ان « فكرة الوحدة الاسلامية قد تجول احيانا بخواطر بعض الناس الذين لا يزالون بعيدين عن الاشتغال بالسياسة والنظر في الشئون العامة بشيء من التدقيق ، ولكن تلك الفكرة لم تخرج من حيز الخواطر ، تظهر وتختفي تبعا للحوادث . . . ونحن لا نعرف انه يوجد في اللغة كلمة جامعة مسيحية (بانيكريستيانزم) كما خلقت كلمة جامعة اسلامية (بانيسلامزم) على ان عقلاء المصريين لا يجدون لكلتيهما وجودا في العالم ، ولكن السياسة تخلق ما تشاء ، فليس لاوربا ان تتوجس خيفة من فكرة ساذجة كهذه . . . اما كون الجامعة الاسلامية موجودة وجوداً حقيقياً ، او انها مقصد من المقاصد التي يسعى المسلمون لتحقيقها فهذا لا دليل عليه مطلقا ، كما انه لو حوول ايجادها لاستحال ذلك بالمرة على طلابه . . »[٢٩] .

وهكذا أنكر لطفي السيد وجود الجامعة الاسلامية ، ونسبها لفعل السياسة ، واعتبرها وهما ، بل إنه انتقل لأبعد من ذلك حين ألغى الرابطة الدينية أو الجنسية بين ابناء الوطن كأساس للقومية ، وبدا تأثره بنظرية المنفعة واضحا حين اكد انه لا رابطة بين الناس سوى المنافع ، فقد « علمنا التاريخ وطبائع البشر انه لا شيء يجمع بين الناس إلا المنافع ، فاذا تناقضت المنافع بين قلبين ، استحال عليهما ان يجتمعا لمجرد قرابة في الجنسية أو وحدة في الدين ، وإن أبلغ مثال على ذلك هو انشقاق المسلمين على انفسهم في خلافة على بن أبي طالب »[٣٠] .

وأهمية هذه الأفكار تكمن في أن لطفي السيد ، من منطلق علماني ، طرحها على مجتمع يموج بالولاء لخليفة المسلمين ، ووسط شعب يعتبر السيادة العثمانية على مصر ، والتي هي في المحل الأول سيادة دينية ، مسألة فوق مستوى النقاش ، سواء بين أوساط عامة الناس ، ممن يؤمنون بذلك تسليما ، أو في اوساط المثقفين والكتاب بصفة خاصة ، ممن يعتقدون في ذلك اقتناعا . ومع ذلك لم يواجه لطفي السيد بعاصفة من الغضب والاحتجاج ، مثلما حدث له بعد ذلك في عام ١٩١٢ ـ على ما سوف نرى ـ ذلك أنه مهد لأفكاره تمهيداً مقبولا ، وكان في معرض رده على اللورد

كرومر وغيره من الساسة الأوربيين ممن يتخذون من فكرة الجامعة الاسلامية دليلا على التعصب الديني ، وذريعة لتدخلهم في العالم الاسلامي ، فبدا لطفي السيد كما لو كان يدحض افكارهم ، في حين أنه كان يوضح لمواطنيه ، في نفس الوقت ، « أن لا أثر لهذه الجامعة في مصر ، ولا نظن لها وجودا في غير مصر »[٣١] .

وعندما أعلن حزب الأمة مبادئه في سبتمبر عام ١٩٠٧ ، والتي صاغها مفلسف مبادىء الحزب والناطق بلسانه لطفي السيد ، لم يشر إلى موقف الحزب الوليد من علاقة مصر بالدولة العثمانية ، أو علاقة ذلك بقضية استقلال مصر ، وكان امرا طبيعياً وضرورياً أن تحدد القوى السياسية موقفها من هذه المسألة ، ومن ثم اتهمت صحيفة اللواء ، الناطقة بلسان جماعة مصطفى كامل والحزب الوطني ـ حزب الأمة بأنه يوزع منشورات تدعو للاستقلال التام ، وفصل مصر عن الدولة العثمانية ، فرد لطفي السيد على ذلك وذكر أن « الاستقلال الذي نطلبه هو أن تصبح الحكومة مستقلة استقلالا « تاما » تحت سيادة الباب العالي ، و « كاملا » بالنسبة للدول الأخرى « ثم حدد معناه بالاستقلال التام أو الأوتونومي Autonomy ، وانه غير الاستقلال الكامل أو الاندباندنس Independence[٣٢] .

واذا كان بوسعنا أن نفسر هروب لطفي السيد بهذا التحايل اللفظي ، برغبته في عدم إثارة هذه المسألة والحزب لا يزال في طور التكوين ، فإنه لم يلبث أن واجه المسألة ، حين تعرض لعلاقة مصر بالدولة العثمانية ، خلال سلسلة من خطبه السياسية ، التي ألقاها بنادي الحزب ، فذكر في إحداها « أننا أخطأنا في تقدير الواجب علينا ، وألقينا مسئولية العمل لاستقلال مصر عن عاتقنا الى عاتق غيرنا ، فعلقنا آمالنا في أول الأمر على الآستانة ، أي بحكومة جلالة السلطان ، صاحبة السيادة علينا ، وبقينا ننتظر نتائج ما يعمله لنا الأتراك ، فلم ننل من وراء ذلك شيئا » . .[٣٣] . ولا يخفى ما في هذه النغمة من تهكم وسخرية بعلاقة مصر بالدولة العثمانية ، وعجزها عن تخليص مصر من أنياب الانجليز ، وتيئيس المصريين ، الذين لا يزال لديهم بقية من أمل في حكومة الآستانة ، ومن لا يزالون يؤمنون

« بوهم » الجامعة الاسلامية .

لقد هرمت الدولة العثمانية ، وجاءت ثورة تركيا الفتاة في يوليو عام ١٩٠٨ لتتجه بالدولة اتجاها قوميا تركيا محضا ، فاستهدفت الاطاحة بنظام السلطان عبد الحميد الثاني الاستبدادي ، لتقيم محله حكومة قومية قد تستطيع أن تضع حدا للتدخل الأجنبي في شئون الدولة ، وتوقف الانهيار الوشيك الذي اصبح الاتراك يعانون منه أشد المعاناة منذ اعتلى عبد الحميد العرش[٣٤] ، فانتشرت فروع جمعية تركيا الفتاة في انحاء الدولة ، تبث دعوتها ، وكانت مصر من المراكز الخطيرة لنشاطها السياسي ، لبعدها عن الآستانة ، ولكونها تحت الادارة البريطانية ، مما يجعلها ملجأ وملاذاً للسياسيين والمفكرين الذين يخشون الوقوع في قبضة السلطان عبد الحميد[٣٥] .

وحين اندلعت ثورة تركيا الفتاة التي أطاحت بالسلطان استقبلها حزب الأمة بفرح عظيم ، ليس ابتهاجا بتخلص الدولة العثمانية من سلطانها ولا لمجرد نجاح مشروع تركيا الفتاة ، وانما لأن ذلك سوف يحل مصر من روابط التبعية للسلطان ، بما يتفق والخط السياسي للحزب ، الذي ذكرت صحيفته ان نجاح الثورة يمثل عيدا للحرية العثمانية ، وأن الأمة بوسعها أن تخلع سلطانها « حتى ولو كان ولي أمر المسلمين ، وحامي بيضة الدين ، وخليفة رب العالمين »[٣٦] ، لتؤكد بذلك إمكانية خلع الاطار المقدس الذي يحتمي به السلطان باعتباره خليفة للمسلمين ، ومعاملته معاملة الملوك المستبدين ، وانتقلت الصحيفة من نقطة تجاهل علاقة مصر بالدولة العثمانية ، وانكار الجامعة الاسلامية ، إلى نقطة جديدة وهي تجريد السلطان من سلطته الدينية واخضاعه لما يخضع له الحكام الزمنيون .

بل لقد عبرت الصحيفة عن افكار لطفي السيد بشكل أوضح ، فيما يتعلق بالوطنية المصرية ، واستبعاد الدين من عوامل بناء الدولة القومية الحديثة ، بالمفهوم العلماني ، حين أكدت أن حركة أحرار العثمانيين حركة وطنية صرفة ، وليس لها اقل صبغة دينية ، وذكرت أن هذه الخطة امنية كل عاقل مصري محب لوطنه ، وطالبت المصريين ، باسم الوطنية ان يحذفوا لفظة « دين » من جرائدهم السياسية .[٣٧] .

وقد رد لطفي السيد على مطالبة بعض المصريين بتمثيل مصر في « مجلس المبعوثان » وهو بمثابة البرلمان العثماني ، متسائلا في استنكار « هل يجوز لنا أن نسلب مصر حقها ، فنجعلها خاضعة لمجلس المبعوثان ، في حين أن الدولة العلية نفسها تحترم استقلالنا ، ولا تطالبنا بشيء من ذلك ؟ ان الحكومة التركية الحرة تعتبر مصرنا رأسا ، فهل نعتبرها نحن ذنبا ؟ ولم يعترف لطفي السيد للدولة العثمانية بحق من حقوق السيادة على مصر ، الا بالهيمنة على سياستها الخارجية فحسب « تلك السيادة التي حددتها المعاهدات الدولية والفرمانات ، فاذا اعترفنا باكثر من ذلك ، كان فرارا من طلب الاستقلال »[٣٨] . وذكر أيضا أنه لئن ظن العثمانيون أننا نعول عليهم في بلوغ حريتنا ، فذلك ظن باطل ، وفكرة لا تشرف مصر ولا المصريين الذين لا يطلبون من احد مساعدتهم في نيل استقلالهم ، بل يعتمدون على انفسهم وعلى اعمالهم .[٣٩] .

وهكذا تستبين تدريجياً قناعة لطفي السيد بالقومية المصرية ، التي لا تتخذ الدين أساسا لقيامها ، من خلال انكاره للجامعة الاسلامية ومزجه ذلك بقضية استقلال مصر السياسي ، وضرورة اعتمادها على نفسها للحصول عليه ، وتحللها من روابط التبعية للدولة العثمانية ، وحتى ذلك الحين كانت مقالات صحيفته حول « الجامعة المصرية » ، ذات طابع أدبي ، مع ميل الى الرومانتيكية ، تحمل معاني حب الوطن والولاء له ، وتعريفاته المختلفة ، والتغني بماضي مصر والمصريين ، والدعوة الى التعليم بما يتفق والروح المصرية ونحو ذلك . . . أما المدلول السياسي للوطنية المصرية فقد عولج بشكل سلبي ـ إن جاز التعبير ـ وذلك بتخليص هذه الوطنية من فم الجامعة الاسلامية ، ثم انتقلت صحيفة لطفي السيد الى التعبير عنها بشكل ايجابي ، حين دعت المصريين بأن يهتموا بمصالحهم فقط ، ورفعت شعار « عليكم انفسكم » في الوقت الذي بدا فيه واضحا انصراف الدولة العثمانية الى مشاكلها الخاصة ، وتبنيها اسلوبا سياسيا يتفق ومصالحها الخاصة ، دون ولاياتها ، ومن ثم تبلورت دعوة لطفي السيد الى الجامعة المصرية بشكل واضح وصريح ، خلال العديد من مقالاته ،

ولم يكتف بمهاجمة فكرة الافغاني عن الجامعة الاسلامية بالمعنى الحديث ، بل لقد هاجم ايضا المفهوم القديم للأمة الاسلامية .[٤٠] .

وقد بدأ موقف لطفي السيد تجاه الجامعة المصرية يتخذ اسلوباً ايجابيا ، منذ رأى اشتغال المصريين بتأليف جمعيات اكتتاب لاعانة البحرية العثمانية ، في سبتمبر عام ١٩٠٩ ، في الوقت الذي لم تفكر فيه الدولة العثمانية في القيام بالتزاماتها إزاء مصر ، وتساءل عن جدوى وقيمة المساعدة المصرية بالنسبة لدولة كثيرة الاملاك ، وفيرة الرجال « فإن كانت المساعدة أدبية صرفة ، معناها ارتباط الأمة المصرية بالامة العثمانية ، فذلك أبلغ في العبث من المساعدة الحقيقية المادية . . . واذا كان الغرض منها الدفاع عن الامة العثمانية وتقويتها ، فإن تقوية مصر والدفاع عنها أوجب على المصري . . عليكم انفسكم ، جودوا على بلادكم بالمال ، فأصلحوا من شأنها ما فسد تصر قوية محترمة » .[٤١] .

ونادى لطفي السيد بتقوية الشخصية المصرية بكل الوسائل الممكنة « فارتباطنا بهذه الأم الحنون ، أرض وادي النيل ، من أمنع الاستحكامات التي حفظت شخصيتنا لليوم »[٤٢] وانشأ مقالتين بعنوان « الجامعة المصرية » أصر فيهما على استخدام لفظ « الجامعة المصرية » دون استخدام القومية المصرية أو الوطنية المصرية ، مما يحمل معنى الاصرار على مواجهة اصطلاح « الجامعة الاسلامية » للتأكيد على ان المصريين لهم جامعة خاصة بهم « تتألف من المصريين الاصليين ، ومن عناصر اخرى جديدة من الاجانب ، حلوا مصر على سبيل القرار وجعلوها موضع سعيهم فصارت بعد قليل محل ثروتهم وموطن حياتهم في الحال والاستقبال وأصبحوا بذلك مصريين » . . فالوطن عند لطفي السيد ليس مقولا على أرض محددة مجردة في الذهن عن كتلة من السكان « ولكنه مقول على أرض محددة مقترنة في الذهن وفي الخارج بكتلة من السكان القائمين عليها على سبيل القرار ، المشتركين في المنافع ، المتضامنين في السراء والضراء . . . » . وهكذا بنى لطفي السيد مفهوم الوطن على أساس قاعدة المنفعة من غير ان يكون لمختلف المعتقدات والأجناس أثر كبير أو ضئيل في تكوينه ، وقد

تمادى أكثر من هذا فتمنى ان يصبح كل من على أرض مصر من العثمانيين والأجانب ، مصريين متساويين في الحقوق والواجبات .[٤٣] .

وخطورة هذه الأفكار تتمثل في كونها تُدخل عناصر ليست مصرية في أصولها وجنسياتها ، في إطار الجامعة المصرية ، كما أنها تمثل ترديدا لما أورده اللورد كرومر ، المندوب السامي البريطاني في مصر ، في تقرير له حين عرف المصرية وذكر أنها تطلق على كل سكان مصر جميعا وكل من يتعاملون معها على اختلاف معتقداتهم واجناسهم ، ومن ثم جعل كل القاطنين بمصر ، مصريين[٤٤] .

فالدين والجنس اذن عند لطفي السيد لا يمثلان قاعدة لتحديد مفهوم الوطن الذي هو « آلة المصلحة ليس إلا ، ومسقط الرأس ليس لأحد بوطن ، إذا صار بلقعا وخوى ، أو استحوذ عليه العدو وبغى ، ولم يعد للمرء فيه أهل ولا ملك »[٤٥] ومعيار المنفعة هو الأساس في تحديد الانتماء ، وقد تساءل مرة : هل هناك من يقول بأن مسلما مصرياً يفضل منفعة تركيا على منفعة مصر ، أي على منفعته هو ؟[٤٦] .

لقد هاجم لطفي السيد الجامعة الاسلامية هجوما عنيفا ، وهاجم من جعلوا أنفسهم وبلادهم « على المشاع وسط ما يسمى خطأ بالجامعة الاسلامية ، تلك الجامعة التي يوسع بعضهم في معناها ، فيدخل فيه أن مصر وطن لكل مسلم » وذكر ان مصر وطن محدود ، مملوك الحقوق (قانونا) لأهله من المسلمين والمسيحيين عن طريق الاختصاص » ولا تتعارض في نظره قاعدة المنفعة مع الدين « فجعل المنفعة أساسا للعمل في السياسة مذهب لا يأباه الدين الحنيف . . . والمنفعة هي الأساس الوحيد للعمل في السياسة ، دون التخالف في المعتقدات الدينية ، وتحديد الوطنية المصرية ، كما حددها قانون البلاد ، أعنى أن الحقوق الوطنية في مصر هي لمن يعترف له القانون بالمصرية ، دون غيره من سائر الاجناس »[٤٧] . وأكد لطفي السيد فكرة أن الجامعة الاسلامية دعوة استعمارية ، وطالب بأن يحل محلها المذهب الوحيد المتفق مع أطماع كل امة لها وطن محدود ، وهو مذهب الوطنية .

ان اول معنى للقومية المصرية عنده أصبح يتمثل في تحديد الوطنية المصرية ، والاحتفاظ بها والغيرة عليها « غيرة التركي على وطنه ، والانجليزي على قوميته . . . إن الذي ينفع مصر هو ان لاتني لحظة واحدة عن العمل لذاتها ، وعن اثبات شخصيتها وقوميتها »[٤٨] . وحتى نهاية عام ١٩١٢ كان لطفي السيد لا يزال يكرر دعوته للجامعة المصرية ، ويدعو الذين كسبوا الجنسية المصرية بالاقامة في مصر ، أن يقطعوا ميولهم عما عدا مصر لأن الوطنية ـ وهي حب الوطن ـ لا تقبل الشرك[٤٩] .

وهكذا كانت الأمة محور تفكيره ، بمعنى الوطن القومي ، وبمعنى المصلحة الوطنية ، وتقوية الشخصية المصرية والحفاظ على استقلالها أما الجامعة الاسلامية فقد اعترف بألا صلة بينها وبين قضايا العالم الحديث ، واعتبرها نوعا من الخيال يثير السخرية ، حتى لقد اعتبر نبذ لطفي السيد لفكرتها في مواجهة التعاطف الفطري السائد معها ، عملا ينطوي على قدر عظيم من الشجاعة[٥٠] .

■ ■ ■

وعندما اندلعت الحرب الطرابلسية في سبتمبر عام ١٩١١ بسبب غزو ايطاليا لطرابلس الغرب ، وجدها لطفي السيد فرصة للتأكيد على عرض قناعاته فيما يتعلق بالجامعة الاسلامية والجامعة المصرية ، ذلك ان هذه الحرب قد مست علاقة مصر بالدولة العثمانية في الصميم ، فميدان القتال يتاخم حدود مصر ، ومصر ما تزال ـ نظريا على الأقل ـ احدى ولايات الدولة العثمانية ، مثلها في ذلك مثل طرابلس الغرب ، وقد شرعت قطاعات من المصريين في تقديم المساعدة للدولة العثمانية ، واظهار التشيع لها ، فانبرى لطفي السيد للتنبيه الى خطورة ذلك ، واعتبره سيزيد مركز مصر ارتباكا ، وذكر أن المصريين هم احق الناس بالمساعدة[٥١] . وواجه لطفي بذلك قطاعات كبيرة من الرأي العام المصري ، الذي تحرك بتلقائية لتعضيد دولة الخلافة ، وأنشأت الصحف الوطنية العديد من المقالات الطوال تبرر فيها ضرورة أن تقف مصر ظهيرا للدولة ، واتخذت عواطف المصريين المتدفقة شكلا عمليا تمثل في الاكتتاب لمعاونة الجيش العثماني ، وتكوين جمعيات ولجان الهلال الاحمر

وغيرها[٥٢] .

بينما عاد لطفي السيد ليرفع للمصريين شعار « عليكم أنفسكم » بمقالات ثلاث تحت عنوان (سياسة المنافع لا سياسة العواطف) تحدى بها مشاعر الناس ، وتجرد خلالها من كل انفعال مستنكراً حركة التشيع للدولة العثمانية ، والتي تمثلت في الدعوة للجهاد الديني ، ورآها من أكبر الأخطار على مصر ، وطالب بني وطنه بأن لا يجعلوا الدين قاعدة لأعمالهم السياسية ، ثم انتقل خلال مقالاته الى التدليل على استحالة مساعدة مصر للدولة وعدم جدواها ، ووصف حركة الاكتتاب بانها مظهر كاذب للجهاد الديني ، واختتمها بالتأكيد على الدعوة للجامعة المصرية وتقوية شخصيتها ، والعمل لمصلحة الأمة المصرية قبل كل شيء[٥٣] .

وقد وقفت الأمة كلها ضد حملة لطفي السيد ، فتعرض لعاصفة من النقد المر ، اتهم خلالها بمناوأة دولة الخلافة بل أكثر من هذا اتهم بالالحاد ، ثم طرقت العاصفة أبواب حزبه ، فزعزعت مكانته منه ، وفشل في اقناع اصدقائه السياسيين بمؤازرته في مواجهة الرأي العام الغاضب ، مما اضطر لطفي السيد الى الانحناء امام العاصفة ، والانسحاب مخذولا ، الى قريته بعد عام .

غير ان الأمر لم يطل به كثيرا ، فقد تدافعت الأحداث ملبدة أفق الدولة العثمانية بالغيوم ، حاملة نذر الانهيار ، فتلك فتنة عسكرية في ألبانيا ، وهذه أنباء سيئة أتت من الكرك وحوران ، كما خرج الادريسى على الدولة ، بينما رفرفت الاعلام الأجنبية على ثغور طرابلس ودرنة وجزر الأرخبيل ، كما تواترت أنباء الهياج في كريت ، والخوف الكبير في مقدونيا وحدوث اتفاق سري بين بعض دويلات البلقان . لقد أمسكت كل هذه المتاعب بخناق الدولة العثمانية لتؤكد عجزها عن حفظ كيانها ولتهيء أذهان المصريين للاقرار بمصير الدولة المحتوم ، مما أتاح للطفي السيد آذانا أعادته إلى جريدته ، فاتجه ، هذه المرة ، بأحاديثه وكتاباته إلى الشباب ، مطالبا إياهم بالسعي لخير مصر ، دون غيرها ، ومؤكدا على الآصرة القوية بين العمل للاستقلال وضرورته ، وبين معنى القومية المصرية ، فالاستقلال في نظره هو المعنى

الوحيد للوجود ، ومناط الأمل في الحياة القومية[٥٤] .

ومما يجدر بالملاحظة ان لطفي السيد اتجه اتجاها جديدا شرع من خلاله ينقب عن اثار مصر القديمة ويقلب في صفحات تاريخها ، مستثيرا شعور العزة والفخر عند المصريين ، عندما يشاهدون آثار عظمة المصريين القدماء كأنما ليدعم أفكاره عن القومية المصرية باستلهام التاريخ الواحد المتميز ، الذي يعود الى ما قبل الفتح الاسلامي ، وقبل الجامعة الاسلامية ، وراح يربط حلقات التاريخ الواحد فذكر « ان امتنا في هذا الحاضر ليست ذات وجود مستقل عن أمتنا الماضية ، فالامة كلٌ واحد غير منقسم ، وغير قابل للتجزئة ، انها امة قد خلق جسمها الاجتماعي من يوم ان استقلت بهذا الوطن المحدود وكانت ذات نظام اجتماعي معروف فصارت تنتقل في حياتها من الصحة الى المرض ، ومن المرض الى الصحة ، حتى صارت الى ما هي عليه اليوم[٥٥] وهكذا انتقل لطفي السيد نقلة جديدة للتعبير عن فكرة القومية المصرية حين اضاف اليها البعد التاريخي للامة الواحدة ، وجعله عنصرا من عناصر تكوين هذه القومية وأساسا من أسس قيامها وتميزها .

ثم يواصل بلورة نظريته عن الأمة المصرية ، ذات القومية المحدودة التي تتميز بسمات ومشخصات خاصة بها فيقول : « لنا لون خاص ، وميول خاصة ، ولغة واحدة شاملة ، ودين للاكثرية ، وكيفيات في تادية اعمالنا ، ودم يكاد يكون واحدا يجري في عروقنا ، ووطنا محدود الجهات بحدود طبيعية يفصلنا عن غيرنا ، لا بحدود وهمية كما هو الأمر في بعض الممالك ، ولكن بحدود طبيعية تكاد تجعلنا في معزل عمن عدانا ، لنا تاريخ قديم طويل . . . اتصلت سلاسله بحلقات متينة ، فاصبحت سلسلة واحدة اولها قبل التاريخ وآخرها هذه الحلقة التي نقطعها . . . فنحن بذلك فراعنة مصر ونحن عرب مصر ، ونحن مماليك مصر وأتراكها ، ونحن المصريون . . . حافظين لكثير مما ورثناه من آبائنا الأقربين والأبعدين . . . كل هذه المشخصات القومية المادية والمعنوية ، الوراثية والكسبية ، من شأنها أن تجعل بيننا رابطة الجنسية أقوى منها في أكثر الأمم . . . »[٥٦] .

وهكذا اكتملت نظرية لطفي السيد عن القومية المصرية بعد أن تجاوز الحديث عن المنفعة والمصلحة كعامل أساسي لبناء القومية المصرية ذلك الذي أملاه تعارض مصلحة مصر مع مصلحة الدولة صاحبة السيادة عليها ، فاضاف الى نظريته عنصر التواصل التاريخي المشترك ، وألمح سريعا الى اللغة والدين ، ثم أضاف عنصر المكان أو العامل الجغرافي ، الذي يميز مصر بحدود طبيعية ، بل لقد تجاوز ايضا افكاره السابقة فيما يتعلق بالرابطة الجنسية ، حين أبرز عنصر الدم المتدفق في عروق المصريين ، والذي يجعلهم ينتمون لجنسية واحدة ، تدعم أسس قوميتهم .

■ ■ ■

ويتصل بافكار لطفي السيد ونظريته عن القومية المصرية ، مسألة نرى لزاماً علينا معالجة موقفه منها ، لتكتمل الصورة أكثر ، ألا وهي موقفه من القومية العربية أو « المسألة العربية » حسب تعبيره ، ومما هو جدير بالملاحظة أنه أنكر في البداية سعى بعض العناصر العربية للحصول على بعض الحقوق السياسية من الدولة العثمانية ، كالتمثيل في مجلس المبعوثان العثماني ، فذكر أن وجود « مسألة عربية أمر سابق لأوانه جدا وخير للذين يسعون في تأليف حزب لبث شكايات العرب ونشرها ، أن يرشدوا الأعراب الى معنى الدستور . . »[٥٧] . . وكانت الجمعيات العربية قد بدأت تتألف وتنتشر في ارجاء الدولة العثمانية منذ عام ١٩٠٨ لتدافع عن القضية العربية وتطالب بالحقوق العربية ، كجمعية الاخوة العربية العثمانية والمنتدى العربي ، والجمعية القحطانية ، والعلم الأخضر ، وجمعية العهد والعربية الفتاة وغيرها . .[٥٨] .

وفي مقال له بعنوان « مصريتنا » عاد ليؤكد أفكاره بهذا الصدد على نحو أوضح فذكر : « أقمنا في مصر وطنا لنا ، وعقدنا معها عقد صدق ، ترزقنا من خيرها ، ونقوم على مصالحها ، ونفدي شرفها بأرواحنا ، فما النزر اليسير الذي لا يزال يحب الانتساب الى قوم غير المصريين ، او الى وطن غير مصر ، الا ناكث عهده ومتاجر بشرفه . . . أليس اقرار المصري بانتسابه الى العربية أو التركية ، لا يدل الا على أنه

يحتقر وطنه وقومه[٥٩] . . . وقد ابدى لطفي السيد تعجبه ممن لديهم نقص في ادراك الوطنية المصرية ممن يحبون الانتساب الى بلاد العرب ، أو الى تركيا دون مصر ، فمن ذا الذي يستطيع ان يسمى هذا الميل وفاء لمصر . . . مصريتنا تقضي علينا أن يكون وطننا هو قبلتنا ، لا نوجه وجهنا شطر غيره . . .[٦٠] .

وطفق يصور آماله بالنسبة للقومية المصرية وضرورة العمل على تقدمها ، فذكر أنه « لدينا كل وسائل العمل لمصلحتنا ، فلا يعوزنا الذكاء ولا الوطنية ولا الاستعداد ، ولكن يعوزنا شيوع الاعتقاد بأن مصر لا يمكنها ان تتقدم اذا كانت تجبن عن الاخذ بمنفعتها ، وتتواكل في ذلك على أوهام وخيالات يسميها بعضهم (الاتحاد العربي) ويسميها آخرون (الجامعة الاسلامية) ، ان الاتكال على غير المصريين في تحقيق آمال المصريين ضرب من اللعب بالمصالح ، وحال من أحوال العجز والقنوط . . . والذي يجب علينا ان نساعد المدنية الحاضرة على نفيه عنا هو الصفات التي تولدت من نقص الاعتقاد بمصريتنا .[٦١] .

وهكذا قرن لطفي السيد بين المسألة العربية والجامعة الاسلامية من حيث علاقتهما بالقومية المصرية ، فرأى الدعوة للوحدة العربية مسألة سابقة لأوانها ان لم تكن ضربا من الخيال وألمح الى حاجة العرب الى التربية السياسية والدستورية قبل اتحادهم ، لقد كانت القومية المصرية ، بالمعنى الاقليمي ، بؤرة اهتمامه ومحور تفكيره ، وربما شفع له في ذلك الحين ربطه بين الدعوة للقومية المصرية وقضية الاستقلال الوطني ، واعتباره ان الدعوة للقومية العربية أو لاتحاد العرب في جامعة ، وهي ما زالت وليدة في مطلع القرن العشرين ، ليست مسألة ملحة بنفس الدرجة ، كما لم تبلغ درجة من الصدام على نحو ما حدث للدعوة للقومية المصرية ، والدعوة للجامعة الاسلامية

- ٥ -

كان تيار القومية المصرية ، بمعنى الدولة القومية ، قد طرح نفسه على افق السياسة والفكر في مصر في مطلع القرن العشرين ، بعد أن مر بفترة المخاض والميلاد عبر القرن

التاسع عشر ، حملته في أحشائها مؤسسات التحديث والتمصير ، في الادارة والجيش ، وغذته بلبانها النظم والأفكار التي انتقلت من أوربا واستزرعت في مصر ، ومع ازدياد الضغط الاجنبي على مصر ، وما ولده من شعور قومي ، عبر عن نفسه في رفع شعار « مصر للمصريين » ، وتبلور اكثر من تناقض مصالح مصر مع الدولة صاحبة السيادة عليها ـ الدولة العثمانية ـ واستجابة قطاعات من المثقفين المصريين ، من أرباب الكتابة والصحافة للفكر السياسي والاجتماعي الحديث ، ولتياره القومي على وجه الخصوص . . كل هذه العوامل ولّدت في النهاية ذلك التيار القومي المصري ، الذي قدر له أن يتعايش في البداية مع التيار العام ، الذي يضع مصر في فلك الدولة العثمانية ، ويتخذ من الجامعة الاسلامية قومية وسياجا ، قبل أن يصلا الى التناقض ، فالمواجهة والصدام .

وجاءت سني القرن العشرين الأولى ، بزخم أحداثها وتدافعها لتدفع بأنصار الفكر القومي المصري ، يتقدمهم احمد لطفي السيد ، خطوة كبيرة للامام ، فرأوا تعارض مصلحة مصر مع مصالح دولة الخلافة ، وعجزها عن حماية ولاياتها ، التي بدأت تتساقط في ايدي الدول الأوربية الواحدة تلو الأخرى ، كما رأوا عجز فكرة الجامعة الاسلامية عن صيانة دولة الخلافة بالاضافة الى أحداث الدولة الداخلية ذاتها ، التي أسقطت السلطان ، ونحت منحى تركيا ـ قوميا خاصا . . لقد اعطى ذلك كله لطفي السيد سوانح عديدة لطرح افكاره عن القومية المصرية وتأصيل تيارها ، والتجاوز به مرحلة الطفولة ، الى مرحلة اليفاعة والصبا .

وكانت نقطة البداية عند لطفي السيد في ذلك هي اثبات خيالية فكرة الجامعة الاسلامية ، بل انكار وجودها أصلا ، فقاده هذا ، من منطلق علماني ، الى نكران علاقة الدين بالسياسة ، في سلطة الدولة ، ورؤيته ضرورة إلزام الدين حدود الشعائر والمبادىء الخلقية ، ونزع صولجان السلطة الدينية من يد السلطان العثماني ، واعتباره ملكا مستبدا يثور عليه شعبه ، ثم طور لطفي السيد افكاره عندما دعا « للجامعة المصرية » بشكل واسع ، وكان مصرا على استخدام هذا الاصطلاح لمواجهة

اصطلاح « الجامعة الاسلامية » فعرض لتلك الجامعة باعتبارها قومية متميزة لها أسسها وعناصر قيامها ، بالمعنى الحديث ورفع أمام مواطنيه شعار « عليكم انفسكم ومصالحكم الخاصة » مستبدلا قاعدة المنفعة والمصلحة القومية ، بالدين ، كقاعدة لبناء الجامعة القومية للمصريين .

بل إن لطفي السيد حين جعل يحدد عناصر تلك الجامعة المصرية او القومية المصرية ، بالغ كثيرا عندما طرح امكانية اعتبار العناصر الاجنبية ، المقيمة بمصر على سبيل القرار ، عناصر وطنية ، مادامت قد استقرت بمصر ، واتصلت منفعتهم بها . . ولم يلبث ان دعم افكاره بالحديث عن ماضي مصر والمصريين القدماء ، فاضاف بعدا تاريخيا ، لاسس بناء القومية المصرية ، ثم شرع يستكمل هذه الاسس ، متجاوزا قاعدة المنفعة والمصلحة القومية ، مضيفاً عوامل اللغة المشتركة ، والدين الغالب والموقع الجغرافي المحدد والطبيعي ، واخيرا عامل الدم الذي اوجد رابطة جنسية تجمع المصريين في قومية واحدة متميزة ، مما يعتبر تطويرا لافكاره ذاتها .

وفيما يتصل بالدعوة للوحدة العربية أو القومية العربية ، فقد اعتبرها لطفي السيد مسألة سابقة لأوانها ، ان لم تكن محض خيال ، شأنها شأن الجامعة الاسلامية ، وبذلك انتصر لفكرة الجامعة المصرية أو القومية المصرية ضارباً صفحا عما عداها ، ودافعا بتيار مؤثّر من تلاميذه في السياسة والفكر ليدفعوا بعده ذلك التيار في روافد عديدة خلال العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين ، في مجالات السياسة والثقافة والفكر والآداب والفنون .

الهوامـــش

(١) مصنفات لطفي السيد هي : ١ ـ المنتخبات ، جزآن ـ ٢ ـ صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية ١٩٠٧ ـ ١٩٠٩ ـ ٣ ـ تأملات في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع (وقد نشرها اسماعيل مظهر) ـ ٤ ـ مبادىء في السياسة والأدب والاجتماع ـ ٥ ـ قصة حياتي (وقد نشرهما طاهر الطناحي) .

(٢) ترجم لطفي السيد عن أرسطو طاليس : علم الاخلاق ، الى نيقوماخوس ، جـ ١ ، ثم كتابه « السياسة » .

(٣) محمد أنيس : دراسة القومية العربية من الناحيتين النظرية والتاريخية ، صـ ٩ .

(٤) فردريك هرتز : القومية في التاريخ والسياسة ، صـ ٩ ـ ١١ .

(٥) نفس المرجع ، صـ ٢٨ ـ ٢٩ ، صـ ٤٦١ .

(٦) مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعي ، صـ ٧٨

(٧) أنظر تحليلا لهذه الافكار في كتاب حامد ربيع : مقدمة في العلوم السلوكية ، صـ ١٦٠ وما بعدها ، وكذلك عبد العزيز شرف : الفكر القومي المصري ، صـ ١٠ ـ ١١

(٨) فاروق ابو زيد : أزمة الفكر القومي في الصحافة المصرية ، صـ ١٥ ـ ١٦ ، نقلا عن :

International Encyclopedia Of The Siences

Vol . I . PP . 63 — 69

وكذلك يلخص لنا المؤلف تعريفات كافة دوائر المعارف للقومية صـ ٢٤ ـ ٢٥ .

(٩) ساطع الحصري : آراء وأحاديث في الوطنية والقومية ، صـ ٧ ـ ٨ ، وللمؤلف : ما هي القومية ، دار العلم ، بيروت سنة ١٩٥٩ .

(١٠) عبد الرحمن البزاز : بحوث في القومية العربية ، صـ ٤٠ ـ ٤١

(١١) فاروق أبو زيد : المرجع السابق صـ ٣٣ .

(١٢) حول هذه الأفكار ، انظر : احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسي صـ ١٤ ، وألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة ، صـ ٢٣٥ ،

Wendell Ch , The Evolution Of The Egyptian , National Image . P . 24

وحول دور الحملة الفرنسية في إثارة الوعي القومي ، أنظر : فاروق أبو زيد : أزمة الفكر القومي في الصحافة المصرية ، لويس عوض : تاريخ الفكر المصري الحديث .

(١٣) Ahmed . J . , The Intellectual Origins Of The Egyptian Nationalism . P . I 5 .

(١٤) أنيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ، صـ٦٢ ـ ٦٣ ، صبحي وحيدة : في أصول المسألة المصرية صـ ١٧١ ، وأنظر تحليلا للفكر القومي عند الطهطاوي ، Wendell . Op . Cit . PP I22 — I34 وألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة ، صـ ١٠٢ ـ ١٠٤

(١٥) يذكر فاروق أبو زيد (الصحافة وقضايا الفكر الحر) صـ١١٣ ـ ١١٤ « اننا لم نعثر للافغاني طوال مدة اقامته بمصر على مقال واحد تحدث فيه عن الجامعة الاسلامية » ويؤكد المؤلف أن هذه الفكرة لم تتضح في عقل الأفغاني ولا في حركته السياسية الا بعد طرده من مصر . أنظر ايضا رشيد رضا (تاريخ الاستاذ الامام جـ ١ صـ ٣٠٦) حيث يذكر أن الأفغاني لم يكن ينادي بدولة اسلامية واحدة بل يكتفي بالوحدة الدينية .

(١٦) حسين المرصفي : رسالة الكلم الثمان صـ ٢٥ ـ وعن المرصفي أنظر تحليلا لكتابه في Wendell . OP . Cit . PP . 135 - 139 وصايغ : الفكرة العربية صـ ٦٦ ، حوراني : الفكر العربي صـ ٢٣٦ ، وعن عوامل نمو القومية المصرية أنظر : احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسي صـ ٢٨ ـ ٢٩ ، صبحي وحيدة : في أصول المسالة المصرية صـ ١٧١ .

(١٧) حول دور صنوع في القومية المصرية ، انظر : Gendzier , James , Sanua and Egyptian Nationalism , MEJ. Vol . Xv . I96I . PP . I 6 — 28 . وكذلك كتاب ابراهيم عبده الصحفي الثائر . وعن أديب أسحق ، انظر كتابه ، المنتخبات ، حوراني : المرجع السابق صـ ٢٣٧ ، أنيس صايغ : يضيف أن قوميته كانت شرقية ولم تكن عربية (الفكرة العربية صـ ١٠٩) .

(١٨) Safran,n ,Egypt In Search Of Political Community P.85

(١٩) انظر : الاهرام ١٨٧٦/٩/٣ وعن موقفه من آل عثمان انظر : Blunt , Secret History P . 25I.

(٢٠) احمد زكريا الشلق : حزب الأمة ودوره في السياسة المصرية ، صـ ٢١٩ .

(٢١) Ahmed . M . , The Intellectual Oregins . P 6I , Wendell , The Evolution , P . 203

(٢٢) Zeine , Arab — Turkish Relations And The Emergence Of Arab National ism . P . I5

(٢٣) أحمد لطفي السيد : قصة حياتي ، صـ ٢٥ ـ ٣٧ .

(٢٤) Safran , Egypt In Search Of Political Communety . P 90

وحول تأثر النزعة القومية اللبرالية عند لطفي السيد بآراء روسو ولوك وبنتام وسبنسر أنظر : ليفين : الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث صـ ١٩٧

(٢٥) لويس عوض : المؤثرات الأجنبية في الأدب ، جـ ١ ، صـ ٧٧ ـ ٧٨ ، ٨٤

(٢٦) أنظر الأعداد الأولى من الجريدة ابتداء من ٩ مارس ١٩٠٧ حيث تحمل معظم افتتاحياتها عنوان « الوطنية في مصر » وهي وان كانت بدون توقيع إلا ان مضمونها وروح نصها يؤكدان

أنها من انشاء لطفي السيد .

(٢٧) الجريدة ١٩٠٧/٥/٩ ، وكلمة بانسلامزم هي كتابة عربية لكلمة Pan — Islamism بمعنى الجامعة الاسلامية .

(٢٨) الجريدة ١٠ سبتمبر ١٩٠٧ .

(٢٩) ، (٣٠) ، (٣١) الجريدة ٧ مايو ١٩٠٢ « تقرير اللورد كرومر » ثم لطفي السيد : صفحات مطوية صـ ٩٩ ـ ١٠١ ، قصة حياتي صـ ٦٩ ـ ٧٢ .

(٣٢) احمد زكريا الشلق : حزب الامة صـ ٢٢١ . وحول اعلان الحزب وبرنامجه انظر كذلك

Kazziha , W. , The Jaridah — Ummah Group And Egyptian Politica , P . 38I

(٣٣) نص الخطبة في كتاب صفحات مطوية صـ ٧ ـ ٢٤ ، مبادىء في السياسة صـ ٦٤ وما بعدها .

(٣٤) أنظر حول هذا المعنى ، رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ صـ ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٣٥)

Zeine , Arab — Turkish Relation s , P . 63

(٣٦) أحمد زكريا الشلق : حزب الأمة ، صـ ٢٢٤ ـ ٢٢٥

(٣٧) الجريدة ٥ اغسطس ١٩٠٨

(٣٨) خطبة لطفي السيد بالاسكندرية ، في الجريدة ٢٣ أغسطس ١٩٠٨ .

(٣٩) الجريدة ١٩٠٨/٩/٣ « مصر وتركيا » ثم مقال الأزمة العثمانية في ١٣ ، ١٤ اكتوبر ١٩٠٨ للطفي السيد .

(٤٠) Wendell , Ch . , The Evolution Of The Egyptian National Image , P . 229 .

وقد ذكر المؤلف « ان لطفي السيد حين اعترف بوجود الجامعة الاسلامية ، رأى أنه كانت هناك موجة مضادة لها حتى في العصر الذهبي للاسلام ، بل وفي أغلب الفترات التي تبعته . ثم إن انتصار الاسلام يكمن في أن الفاتحين ، منذ العصور العربية حتى الاتراك ، قد اعتادوا جعل العقيدة قناعا لأهدافهم السياسية . . انظر : 228 — 226 . P . P

(٤١) احمد لطفي السيد : المنتخبات جـ ١ ، صـ ١٦٤ ـ ١٦٦ (عليكم أنفسكم) .

(٤٢) الجريدة ١١ سبتمبر ١٩٠٩ (الشخصية المصرية)

(٤٣) انظر أحمد لطفي السيد : المنتخبات جـ ١ صـ ١٧٠ ـ ١٧٣ مقالتين بعنوان (الجامعة المصرية) ، قصة حياتي صـ ١٣٩ .

(٤٤) أحمد زكريا الشلق : حزب الأمة صـ ٢٢٦ ـ ٢٢٧

(٤٥) الجريدة ١٠ مارس ١٩٠٧ (الوطنية في مصر) .

(٤٦) الجريدة ٢٣ اغسطس ١٩٠٨ .

(٤٧) أحمد لطفي السيد : المنتخبات جـ ١ صـ ٣٠٨ ـ ٣٠٩ (الى الشبيبة ، الجامعة المصرية) .

(٤٨) المصدر السابق ، صـ ٣١٦ ـ ٣١٨ ، لطفي السيد : مبادىء ، صـ ١٢٦ وما بعدها .

(٤٩) Wendell , Ch . , The Evolution Of The Egyptian National Image . P .230 .

(٥٠) Safran , N ., Egypt In Search Of Political Communety , P . 95

وانظر هجوما غير موضوعي على أفكار لطفي السيد القومية في كتاب عبد المجيد المحتسب : طه حسين مفكرا صـ ٤١ ـ ٥٢ .

(٥١) الجريدة ٢٨ سبتمبر ١٩١١ .

(٥٢) أحمد زكريا الشلق : حزب الأمة ، صـ ٢٣٠ .

(٥٣) انظر مقالات لطفي السيد ، سياسة المنافع لا سياسة العواطف « بالجريدة ٢١ ـ ٢٣ اكتوبر ١٩١١ ، وأنظر حول موقف لطفي السيد من الدين : مجيد خدوري : عرب معاصرون صـ ٣٢٨ ـ ٣٣٠ حيث يقول « إن تأكيد لطفي السيد على العلمانية وإحالة الدين الى ضمير الفرد أثار النقاد الذين نددوا به واتهموه بالالحاد ولكن آراءه في الدين كما هو ملاحظ ، لم تظهر في كتاباته ، وانما عرفت من أحاديثه الخاصة مع تلامذته وأصدقائه . » .

(٥٤) الجريدة ٢ سبتمبر ١٩١٢ (غرض الأمة هو الاستقلال) .

(٥٥) احمد لطفي السيد : تأملات في الفلسفة والأدب صـ ١٣ ـ ١٧ (الآثار القديمة .) .

(٥٦) نفس المصدر ، صـ ٦١ ـ ٦٢ (تضامننا) .

(٥٧) احمد لطفي السيد : المنتخبات جـ ١ (المسألة العربية) .

(٥٨) Zeine , Arab — Turkesh Relations . P . 80 .

(٥٩) أحمد لطفي السيد : تأملات في الفلسفة والأدب ، صـ ٦٥ ـ ٦٦ (مصريتنا) .

(٦٠) المصدر السابق ، صـ ٦٨ ـ ٧١ (المصرية) .

(٦١) المصدر السابق ، صـ ٧٢ ـ ٧٦ (آمالنا) .

المصـــادر والمراجع

ـ احمد لطفي السيد : ـ المنتخبات ، جـ ١ ، الأنجلو المصرية ١٩٣٧ ، جـ ٢ ، المقتطف ، القاهرة ١٩٤٥ ـ صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية في مصر ١٩٠٧ ، القاهرة ١٩٤٦ . ـ تأملات في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع دار المعارف بمصر ١٩٤٦ . ـ مبادىء في السياسة والأدب والاجتماع ، دار الهلال بالقاهرة ١٩٦٣ . ـ قصة حياتي ، دار الهلال بالقاهرة ١٩٦٢

ـ أديب اسحق : المنتخبات ، أربعة أجزاء في مجلد ، الطبعة الثانية الاسكندرية ١٣٠١ هـ .

ـ ابراهيم عبده : الصحفي الثائر ، كتاب روزاليوسف ، القاهرة ١٩٥٥ .

ـ احمد زكريا الشلق : حزب الامة ودوره في السياسة المصرية، دار المعارف القاهرة ١٩٧٩ .

ـ احمد عبد الرحيم مصطفى : تطور الفكر السياسي في مصر الحديثة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٣ .

ـ ارسطوطاليس : علم الاخلاق ، الى نيقوماخوس ، ترجمة أحمد لطفي السيد ، جـ ١ ، طـ (١) ، دار الكتب المصرية ١٩٢٤ . ـ السياسة ، ترجمة احمد لطفي السيد ، طـ (١) ، دار الكتب المصرية ١٩٤٧ .

ـ ارنست رامزور : تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة صالح أحمد العلي بيروت ١٩٦٠ .

ـ ألبرت حوراني : الفكر العربي في عصر النهضة ، ترجمة كريم عزقول بيروت ١٩٦٨ .

ـ أنيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ، بيروت ١٩٥٩ .

ـ حامد ربيع : مقدمة في العلوم السلوكية ، القاهرة ١٩٧٢ .

ـ حسين المرصفي : رسالة الكلم الثمان ، القاهرة ١٨٨١

ـ ساطع الحصري : آراء وأحاديث في الوطنية والقومية ، مطبعة الرسالة القاهرة ١٩٤٤ . ـ ما هي القومية ؟ دار العلم ، بيروت ١٩٥٩ .

ـ صبحي وحيدة : في أصول المسألة المصرية ، القاهرة ١٩٥٠ .

ـ عبد الرحمن البزاز : بحوث في القومية العربية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٢ .

ـ عبد المجيد المحتسب : طه حسين مفكراً ، دار احياء التراث العربي ، عمان ١٩٧٨ .

ـ عبد العزيز شرف : الفكر القومي المصري ، دراسات قومية ، القاهرة ١٩٨٠ .

ـ فاروق ابو زيد : ازمة الفكر القومي في الصحافة المصرية ، القاهرة ١٩٧٦ .

ـ فردريك هرتز : القومية في التاريخ والسياسة ، ترجمة عبد الكريم أحمد ، دار الكاتب العربي ،

بالقاهرة ١٩٦٨ .
ـ لويس عوض : تاريخ الفكر المصري الحديث ، جزءان ، دار الهلال بمصر ، فبراير ، أبريل ١٩٦٩ . ـ المؤثرات الاجنبية في الادب العربي ، جـ ١ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٦ .
ـ ليفين : الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث ، ترجمة بشير السباعي بيروت ، ١٩٦٨ .
ـ مجيد خدوري : عرب معاصرون ، طـ (١) ، بيروت ١٩٧٣ .
ـ محمد أنيس : دراسة القومية العربية من الناحيتين النظرية والتاريخية القاهرة ١٩٦٣ .
ـ مصطفى سويف : مقدمة لعلم النفس الاجتماعي ، الانجلو المصرية .

دوريـــات :

صحيفة « الجريدة » السنوات « ١٩٠٧ ـ ١٩١٥)

مراجع أوربية

— Ahmed , J . , The Intellectual Origins Of Egyptian Nationalism , Oxford I960 .
— Blunt , W . S . , Secret History Of The English Occupation Of Egypt , London I906
— Gendzier , I . , James Sanua and Egyption Nationalism , M . E . J . volxv , I96I
— Kazziha , w . , The Jaridah — Ummah Group And Egyption Politics , M . E . S . Vol . I 3 , I977
— Safran, n . , Egypt In Search Of Political Community Harvard , 1961
— Wendell , Ch . , The Evolution Of The Egyption National Image , From Its Origins To Ahmed Lutfe AL — Sayyid . California I972
— Zeine , n . Z . , Arab — Turkish Relations And The Emergence Of Arab Nationalism , Beirut I958 .